المجلة السعودية
للعلوم الإنسانية

المجلة السعودية للعلوم الإنسانية
Saudi Journal of Humanities

الإصدار الثالث عشر
المجلد (٤) العدد (٤)
(١- ١٠) ٢٠٢٦

التدوين التاريخي والمشروعية السياسية خلال العصر الوسيط: نماذج من مؤرخي الدولة الموحدية

صباح عويناتي
(المملكة المغربية)

تاريخ النشر: نُشر إلكترونياً بتاريخ ١٠ نوفمبر ٢٠٢٦ م

الملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى تفكيك العلاقة الجدلية بين سلطة التدوين التاريخي ومحددات المشروعية السياسية والأيديولوجية خلال العصر الموحدي بالغرب الإسلامي. فمن زمن الدعوة التومرتية تحول التأليف الإخباري إلى أداة استراتيجية لمواكبة الحركة والدعاية، بالإضافة إلى إضفاء الشرعية بعد انتقال الحركة من طور الدعوة الجبلية إلى طور الدولة الإمبراطورية. وتركز الورقة على استنطاق ومقارنة المتون التاريخية الأساسية لكل من: البيذق، وابن صاحب الصلاة، وابن القطان، وعبد الواحد المراكشي. كما تهدف الدراسة عبر مقاربة إبستمولوجية نقدية، تفسير آليات توجيه الرواية التاريخية لخدمة السلطة، مع الكشف في الوقت ذاته عن الهوامش الموضوعية والمؤشرات الدلالية (كآليات العنف الطقوسي والسياسي) التي استطاع قلم المؤرخ تمريرها رغم ضوابط الرقابة الرسمية وبلاط الخلفاء.

الكلمات المفتاحية:

التدوين التاريخي؛ المشروعية السياسية؛ العصر الموحدي؛ الأيديولوجية التومرتية؛ نقد المصادر.

Abstract:

This study aims to deconstruct the dialectical tension between the authority of historical documentation and the specificities of the political and ideological project during the Almohad era in the Islamic West. A significant development within the Almohad movement was the transformation of historical writing into a strategic tool designed to align with unfolding events and political agendas—a process that extended to the construction of legitimacy, as the movement's foundational episodes were integrated into a broader historical narrative. The study focuses on analyzing and comparing key historical texts, specifically those by al-Baydhaq, the author of *Kitab al-Salat*, the sons of al-Qattan, and Abd al-Wahid al-Marrakushi. It employs an epistemological approach to examine how history was interpreted and directed to serve the ruling power, while simultaneously uncovering thematic margins and semantic indicators—such as the mechanisms of ritualized and political violence—that the authors could not fully suppress, despite the constraints imposed by official mandates and the environment of the Caliphs' court.

Keywords:

Historical documentation; classical historiography; Almohad era; Almohad ideology; critical sources.

المقدمة وإشكالية الدراسة:

شهد الغرب الإسلامي مع بروز الدعوة الموحدية تحولاً جذريا، لم يقتصر على البنى السياسية والعسكرية فحسب، بل امتد ليشمل الحقل المعرفي وأدوات الإنتاج الثقافي. فمنذ السنوات الأولى لتأسيس هذه الحركة بين جبال الأطلس، سخر قادتها وسائل متنوعة للدعاية والتبشير بمبادئها وإضفاء الشرعية الدينية والسياسية عليها؛ حيث احتل التدوين التاريخي مكانة محورية ضمن هذه الوسائل الاستراتيجية التي واكبت تمدد المشروع الموحدي وانتقاله من طور الدعوة إلى طور الدولة. وقد حفظت البيبليوغرافيا التاريخية الوسيطية عدداً من المؤلفات والمدونات الإخبارية الهامة التي مكنت الباحثين من تفكيك مسار هذه الدولة وتكوين رؤية واضحة حول نشأتها وتطورها. ومن هؤلاء نذكر مؤلفات البيدق صاحب: **أخبار المهدي بن تومرت** و**الأنساب في معرفة الأصحاب**، وابن صاحب الصلاة صاحب **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين** وعبد الواحد المراكشي بكتابه **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** وابن القطان صاحب **كتاب نظم الجمان**...وغيرهم كثير[1].ورغم الأهمية المعرفية البالغة لهذه المؤلفات، وتباين بيئاتها الزمنية والمكانية في بعض الأحيان، فإن القاسم المشترك والأبرز الذي يجمعها هو حرص مؤلفيها على إبراز المرتكزات الشرعية للدولة الموحدية، وصياغة خطاب تاريخي يثمن منجزات الإمام والخلفاء بعده، ويقدم النموذج الموحدي بوصفه الإطار الشرعي الذي استطاع تصحيح الأوضاع الدينية والسياسية بالمنطقة، والقيام بواجب الجهاد وحماية الثغور.

إن هذا التوافق الأيديولوجي في هذه المتون يطرح إشكالية معرفية ومنهجية بالغة التعقيد حول طبيعة العلاقة الكامنة بين المؤرخ والسياسي في العصر الموحدي[2]. ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات المحورية الآتية: **ما هي طبيعة المحددات والسياقات المؤسساتية التي أطرت علاقة المؤرخين برمزية السلطة وبلاط الخلفاء؟ وكيف ساهمت أدوات الدعاية السياسية في توجيه الرواية الإخبارية لخدمة مشروعية الدولة منذ نشأتها الجبلية وصولاً إلى منافستها على الخلافة في العالم الإسلامي؟ وإلى أي حد خضعت هذه الأقلام لدوافع ترتبط بالمكانة الاعتبارية والمادية، أم أنها صدرت عن تشبع عقائدي وأيديولوجي بالمنظومة التومرتية؟ وأخيراً، كيف يمكن للمؤرخ الحديث فحص هذه المصادر أبستمولوجيا لاستنباط حقائق تاريخية ومؤشرات موضوعية (كآليات العنف الطقوسي) تجاوزت رغبة السياسي وضوابط الرقابة الرسمية؟**

---

[1] – محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، الجزء ١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، الطبعة الأولى ١٩٨٣،

Jean-Pierre Van Staëvel, « La foi peut-elle soulever les montagnes ? », **Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée** [En ligne], 135 | 2014 URL : http://remmm.revues.org/8718 ; DOI : 10.4000/remmm.8718

[2] – محمد زنيبر، " بعض الكتب التاريخية المنشورة أخيرا عن تاريخ الموحدين" ضمن **المغرب في العصر الوسيط: الدولة –المدينة– الاقتصاد**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، الطبعة الأولى ١٩٩٩، صص٩٧– ١١٠

I. طبوغرافيا التأليف التاريخي الإخباري في العصر الموحدي:

شهد العصر الموحدي حركية مهمة على مستوى التأليف والكتابة بشكل عام والتأليف التاريخي بشكل خاص، فالمهدي بن تومرت مؤسس الدعوة الموحدية اشتهر بغزارة علمه وتأليفه لعدد من الكتب الفكرية والفقهية[٣]. كما أثنت المصادر على اهتمام عدد من خلفاء الدولة الموحدية بالعلم والعلماء فقد جاء في كتاب المعجب للمراكشي أن عبد المومن كان" **مؤثرا لأهل العلم محبا لهم، محسنا إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويجري عليم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم**"[٤] كما ورد عند ابن أبي زرع الفاسي عن نفس الخليفة أنه " **لم يكن في ملوك الموحدين مثله أحسن عطية ولا فروسية ولا دينا ولا أكثر علما منه.**"[٥]، وكما سخر هؤلاء القادة وغيرهم من القيادات الموحدية الوسائل والآليات التي ساهمت في ازدهار العديد من الأصناف العلمية والأدبية.

ازدهرت كتب التاريخ الإخباري خلال هذا العصر، وقد عددها الأستاذ محمد المنوني في كتابه المصادر العربية لتاريخ المغرب كما حدد تاريخ تأليفها خلال المرحلة الممتدة من تأسيس الدولة الموحدية بعد دخولهم إلى العاصمة مراكش سنة ٥٤١ه/١١٤٧م والقضاء على آخر أمراء الدولة المرابطية وانتهت مع نهاية عصر الموحدين بوفاة الخليفة أبي دبوس (إدريس الواثق) سنة ٦٦٨ه/١٢٦٩م[٦]. واستثنى بذلك مرحلة الدعوة التي امتدت على طول سبع وعشرون سنة والتي شغلت حيزا هاما في عدد من المصادر -كما سيتم الحديث عنها في هذا المقال- إلا أن تدوينها لم يتم إلا على عهد الخلفاء الموحدين. من بين هذه المصادر ما لم يبق منه إلا نصوص موزعة على عدد من المصادر كما هو الشأن بالنسبة لعدد من المؤلفات نذكر منها: مؤلف أبي مروان عبد الملك بن موسى الوراق المعنون ب "**المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس**" وكتاب " **المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس**" لأبي عبد الله بن حمادة السبتي و " المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب" لأبي يحيى اليسع وغيرها [٧].

---

[٣]- عبد الله كنون، "عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت"، **مجلة البحث العلمي**، العدد التاسع، السنة الثالثة، دجنبر١٩٦٦، صص١٧٥- ١٨٥، ص١٧٥

عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت: حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، الطبعة الأولى ١٩٨٣

[٤]- عبد الواحد بن علي المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، اعتنى بنشره صلاح الدين الهواري، طبعة بيروت، ٢٠٠٦، ص١٥٠

[٥] - ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، طبعة الرباط ١٩٧٢، ص٢٠٣ وص ٢١٦ في وصفه ليعقوب المنصور

[٦]- محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، م س، امتدت الصفحات الخاصة بالمصادر المعتمدة للتأريخ للدولة الموحدية من الصفحة ٣٨ إلى الصفحة ٦٤ وضمت بين طياتها جميع المصادر المعتمدة في التأريخ لهذه الدولة بما في ذلك الكتب الفقهية التي ألفها المهدي بن تومرت والتي لم يتم تدوينها إلا في عهد الخليفة عبد المومن وكتب التراجم والنصوص الأدبية وكتب الجغرافيا والأنساب وغيرها من المصادر.

[٧] - عدد من المصادر المفقودة وردت نصوص منها ضمن مؤلفات موحدية كتبت في فترة متأخرة عنها، أو وردت ضمن مصادر دونت خلال العصر المريني. المنوني، **المصادر**... م س، ص ٤٧- ٤٨- ٥٥ — ٦٤.

و من المصادر التاريخية التي وصلت إلينا أجزاء منها ومكنت من تسليط الضوء على محطات هامة من تاريخ الدولة الموحدية خاصة مرحلة الدعوة التي انطلقت مع وصول المهدي بن تومرت إلى مراكش سنة ٥١٤ه/ ١١٢٠م نذكر:- كتاب **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** لصاحبه أبو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق، وهو عبارة عن مذكرات لهذا المؤلف الذي رافق المهدي بن تومرت خلال رحلة عودته إلى المغرب قادما من المشرق وعايش معه جميع محطاته منذ دخوله مدينة تونس ومروره بعدد من المدن المغرب الإسلامي إلى أن وصل مدينة مراكش ومواجهته لفقهاء الدولة المرابطية وأميرها علي بن يوسف، ثم فرار محمد بن تومرت بعد ذلك إلى مسقط رأسه هرغة حيث أسس لحركته قبل الانتقال إلى تينمل. كما حضر البيدق أهم المعارك التي خاضها المهدي سواء ضد الدولة المرابطية أو ضد من خالفه من القبائل الجبلية، كما شهد غياب شخصية الإمام عن الناس ووفاته بعد هزيمة معركة البحيرة وتولي عبد المومن لشؤون الموحدين بعده. كما شملت هذه المذكرات أهم إنجازات الخليفة عبد المومن إلى حدود سنة ٥٤٧ه/١١٥٣م أما ما جاء بعد هذه السنة فيرجح أن يكون قد أضافه غيره[٨].

- المؤلف الثاني وهو **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين** لأبي مروان عبد الملك المعروف بابن صاحب الصلاة الأندلسي وهو مؤلف من ثلاث أسفار لم يبق منها إلا جزء من السفر الثاني ويغطي الأحداث الممتدة من سنة ٥٥٤ه/ ١١٦٠م إلى سنة ٥٦٨ه/ ١١٦٨م. ونقل عنه عدد من المؤلفين كابن عذاري وغيره[٩].
- أما المؤلف الثالث فهو **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان** للحسن بن علي المعروف بابن القطان وهو عبارة عن مؤلف موسوعي تناول فيه المؤلف تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى أيام المؤلف ومن المرجح أنه يضم عدة أسفار إلا أنها ضاعت ولم يصل إلينا إلا جزء من السفر السادس، يغطي فيه المؤلف أحداث المغرب والأندلس خلال الفترة الممتدة بين سنة ٥٠١ه و٥٣٣ه[١٠].

كما ألف عبد الواحد المراكشي كتابه **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ببغداد تلبية لطلب أحد الوزراء العباسيين قدم من خلاله المؤلف "**أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره وشيء من سير ملوكه، وخصوصا ملوك المصامدة بني عبد المومن من لدن ابتداء إلى وقتنا هذا وهو سنة ٦٢١..**"[١١]هذا إضافة إلى عدد من المصادر المتنوعة التي ضمت أحداثا تاريخية لكنها لم تكن هي موضوعها الأساس بل تغطي حقولا معرفية أخرى ككتب التراجم والسير والمصادر الأدبية وكتب التصوف والفقه والفهارس وكتب الجغرافيا وغيرها.

---

[٨] - البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة أولى، ١٩٧٥. ويرجح المحقق أن شخص المؤلف أصبح غائبا بعد ٥٤٧هـ وأن الأحداث التي وردت بعدها هي من تأليف غيره. ص ١٤-١٦.

[٩] - ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧

[١٠] - ابن القطان، أبو علي الحسن، **نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، دون تاريخ.

[١١] - عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، مصدر سابق، اعتنى بنشره صلاح الدين الهواري، طبعة بيروت، ٢٠٠٦، ص ٩.

II- تجليات الخطاب الأيديولوجي وشرعنة السلطة في المتون التاريخية:

قبل الحديث عن علاقة هؤلاء المؤرخين بالساسة الموحدين سواء كان خلفاء أو من يمثل السلطة السياسية العليا للدولة الموحدية من سادة أو قادة عسكريين أو غيرهم، لابد من الإشارة إلى أن المؤرخين المذكورين أعلاه ينتمون لمراحل مختلفة من تاريخ الدولة الموحدية ودونت مؤلفاتهم بأمر أو بطلب من السلطة العليا باستثناء المعجب الذي ألفه صاحبه خارج المغرب كما أشرنا إلى ذلك سابقا. فالبيذق كما أشرنا شاهد على مرحلة التأسيس للدولة الموحدية، أما ابن صاحب الصلاة فهو شاهد على مرحلة الازدهار وابن القطان شاهد على أفول الدولة الموحدية.

إذا حاول التدوين التاريخي شرعنة السلطة الموحدية عبر تبني خطاب أيديولوجي موحد؟

لا بد من الإشارة في البداية أن أصحاب هذه المصادرلم يكونوا غريبين عن السلطة العليا خلال العصر الموحدي بل عاشوا كلهم في كنفها: سواء تعلق الأمر بالإمام المهدي بن تومرت أو الخليفة عبد المومن بالنسبة للبيذق، أو بالشيوخ والسادة الأمراء كما هو الشأن بالنسبة لابن صاحب الصلاة، والمراكشي صاحب المعجب كان يتحدث دائما باعتباره مرافقا للمحلة السلطانية أو بالخليفة المرتضى وبلاطه كما هو الحال لابن القطان. فكيف وجه هؤلاء الساسة أقلام هؤلاء الكتاب؟

إن المتصفح لهذه المصادر يلاحظ أن أخبارها مرتبطة بتحركات الموحدين وبإنجازاتهم وتمجيدها بحيث أن كل الأحداث ارتبطت بالإنجاز السياسي والعسكري للسلطة الموحدية وإضفاء الشرعية عليه مها كان ذلك. فنجد مثلا البيدق يضفي صفة الشرعية على كل أفعال المهدي بن تومرت فهو يصفه بالعصمة والإمامة حتى قبل أن يتخذ هذا اللقب ويسوق الروايات التي تتنبأ بخلافة عبد المومن في لقائه الأول بالمهدي بن تومرت ببلدته ملالة[١٢]. أما ابن صاحب الصلاة فمنذ الصفحات الأولى لا يذكر اسم الخليفة إلا متبوعا بعبارة رضي الله عنه ولا يتحدث عن السادة من الأمراء إلا مرفقا بعبارات التبجيل والتمجيد. أما ابن القطان الذي عاصر مرحلة التفكك والأفول والانقسام والهزيمة أمام المرينيين فإن القارئ لمؤلفه يظن أن من يروي هذه الأحداث قد عايش مرحلة القوة خاصة أن ما تبقى من كتابه يغطي مرحلة الدعوة وبداية ولاية الخليفة عبد المومن،

[١٢] – البيذق، **مصدر سابق**، ص ٣٤– ٣٥ –٤٠– ٤٢

خاصة حينما يتحدث عن المرابطين ويكيل لهم جميع الصفات القبيحة والانحرافات التي وصفهم بها المهدي بن تومرت. أما عبد الواحد المراكشي فرغم تبنيه الحياد في حديثه عن الدولة الموحدية إلا أن روايته لا تختلف عن الروايات التي تعمل على تزكية ماقام به الموحدون من إمامهم المهدي إلى خلفائهم من بني عبد المومن. فهل أثرت هذه العلاقة على الأهمية التاريخية لهذه المصادر؟

ووجهت للمصادر الوسيطية بشكل عام والموحدية بشكل خاص عديد من الانتقادات من ذلك أنها سلطت الضوء على فئة بعينها دون غيرها من الفئات كما أنها ركزت على التاريخ السياسي والعسكري لهذه الدول[١٣]. إلا أن الباحث يجد أن هذه المصادر بقصد أو عن غير قصد قدمت لنا معلومات هامة عن هذه الفترة من تاريخ المغرب. فالبيذق مثلا الذي يقدم مذكراته بلغة لا تنم عن علو كعبه في اللغة العربية يحفظ لنا معجما لغويا يجمع بين العربية الفصحى والدارجة والأمازيغية، هذا ناهيك عن ذاكرته القوية التي حفظت لنا مسار المهدي بن تومرت من شرق الغرب الإسلامي إلى أعماق الجبال المغربية والتي ذكر فيها تفاصيل الأماكن التي مر منها المهدي بن تومرت وقدم لنا تفاصيل الحركة العسكرية الجبلية التي قادها عبد المومن عبر جبال المغرب للسيطرة لإنهاك السلطة المرابطية والقضاء عليها كما تفرد بذكر حادثة الاعتراف التي قام بها عبد المومن بعد قضائه على ثورة الماسي بالإضافة إلى المعلومات الهامة التي قدمها حول حادثة التمييز في عهد المهدي بن تومرت قبله[١٤]. ومن خلال هذه الرحلة قدم أسماء القبائل الجبلية التي رحبت بالدعوة في مرحلة مبكرة قبيل إعلان قيام الدولة. وفي إطار تمجيد أعمال السياسي والإشادة بها قدم لنا ابن صاحب الصلاة معلومات هامة عما أنجزه الموحدون ببلاد الأندلس سواء على يد الخليفة عبد المومن وبعده ابنه يوسف، أو على يد من عينهم مسؤولين عن تسيير الشأن السياسي والعسكري بها من الشيوخ الموحدين والسادة الأمراء. وخير مثال على ذلك ما تم إنجازه من منشآت معمارية بمدينة الفتح بجبل طارق بالإضافة إلى ما احتفظ به من مراسلات وأشعار توثق لانتصارات أو لثورات تم القضاء عليها كما هو الحال لثورة جبال غمارة في السنة التي توفي فيها عبد المومن واستمرت سنوات في عهد ابنه يوسف والذي لم يتلقب بلقب أمير المؤمنين إلا بعد قضائه عليها سنة ٥٦٤هـ[١٥].

---

[١٣] – محمد زنيبر، " بعض الكتب التاريخية المنشورة أخيرا عن تاريخ الموحدين" ضمن **مجموع المغرب في العصر الوسيط:الدولة –المدينة – الاقتصاد**. صص ٩٥- ١١٤. وعن الانتقادات التي ووجهت للمصادر الوسيطية أنظر ص ١٠١ و١٠٣

[١٤]– محمد المغراوي، "عنف الموحدين بين الثورة والدولة" ضمن **الموحدون وأزمات المجتمع**، الطبعة الأولى، الرباط، ٢٠٠٦، صص ١٧-٣٢

[١٥] – صباح عويناتي،" جبال غمارة خلال العصر الموحدي بين الولاء والتمرد"، ضمن **الجبال المغربية:التاريخ، التراث ورهانات التنمية**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ٢٠٢٢،صص ١٧١-١٨٣.

كما سبقت الإشارة رغم أن ابن القطان عاش في مرحلة أفول الدولة إلا أن علاقته القوية بالسلطة العليا للموحدين والتي تمتد جذورها إلى أبيه[١٦]، وفرت له مادة مصدرية هامة فأصبح ابن القطان مكملا لما رواه البيدق عن السنوا ت الأولى من تاريخ الحركة الموحدية خاصة المعارك التي خاضها المهدي بن تومرت سواء ضد المرابطين والقبائل الجبلية التي رفضت الانضواء ضمن دعوته وهو ما يقدم صورة عن أسماء القبائل التي استوطنت هذه المناطق. أما صاحب المعجب فرغم ما ذكره في مقدمة كتابه عن ضعف ما توفر عليه من مصادر وكذلك ضعف ذاكرته خاصة في المحفوظات فإنه يقدم كنوزا عن الدولة الموحدية سواء فيما يخص تنظيماتها أو إنجازاتها العمرانية والعسكرية كما أنه أرفق كتابه بملخصات عن المميزات الجغرافية لبلاد المغرب والأندلس والموارد المائية بها.

لا يمكن إنكار إجماع الباحثين حول الأهمية التاريخية لهذه المصادر في كتابة تاريخ الدولة الموحدية، والتي لا يمكن تخطيها سواء كان هذا الباحث مهتما بالتاريخ السياسي أو العسكري أو الاقتصادي أو حتى الطوبونيمي لهذه المرحلة من تاريخ المغرب. إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه ماهي العوامل المفسرة لهذه العلاقة بين المؤرخ والسياسي خلال العصر الموحدي؟

III- العوامل المفسرة لعلاقة السياسي بالمؤرخ خلال العصر الموحدي

إن المتتبع لسير هؤلاء المؤرخين الذين عاشوا في كنف السلطة الموحدية سيجد أن التفسير المقنع لكتاباتهم هذه هو عنصرين اثنين: - أولا: الاستفادة من مكانتهم وتمتعهم بامتيازات مادية ومعنوية ضمنت لهم ولأهليهم مكانة اجتماعية مهمة داخل المجتمع، فالبيذق كان ضمن طبقة الحفاظ وابن صاحب الصلاة كان مصاحبا للمواكب السلطانية وحتى للسادة من الأمراء والأشياخ في رحلهم وترحالهم، كما أن عبد الواحد المراكشي كان مقربا لدائرة القرار فقد روى عنهم عددا من الأخبار.

- ثانيا: الخوف من بطش السلطة الموحدية في حالة المخالفة، وقد سجلت لنا هذه المصادر حوادث عدة لعلماء حرموا من امتيازاتهم رغم ما أسدوه من خدمات للسلطة كما هو الحال للكاتب أبو جعفر أحمد بن عطية الذي كان كاتبا ووزيرا إلى أن أمر بقتله سنة ٥٥٣ه بسبب شكه في وشايته ومحنة ابن رشد الابن في عهد يعقوب المنصور الموحدي[١٧]، وغيرهم كثير ممن تعرضوا للإهانة أو السجن والقتل وجردوا من امتيازاتهم.

---

[١٦]– أنظر مقدمة المحقق حول العلاقة التي جمعت عائلة القطان بالبلاط الموحدي، والتي خصها بحيز هام من مقدمته امتدت ١٢– ٢٦

[١٧] - المراكشي، **المعجب**، مصدر سابق، ص١٤٩–١٥٠– ٢٢٤–٢٢٥.

إلى جانب هذه الأسباب يمكن أن نضيف عاملا آخر وأظنه الأهم لعدد من هؤلاء المؤرخين وهو تشبعهم بالعقيدة والفكر الموحدي. فدفاعهم ليس فقط دفاعا عن سلطة وإنما عن فكر وضعه المهدي بن تومرت لأصحابه وأضاف إليه الخلفاء من بني عبد المومن. فالبيدق الذي كان رفيق درب المهدي بن تومرت حتى قبل تبنيه للدعوة كان يرى فيه الإمام الناطق بالحق، وظل وفيا لهذا المبدأ رغم أنه لم يتقلد مناصب عليا تجعله معروفا بين سادة الموحدين أو حتى بين علماء ومؤرخي هذه الدولة كما هو الشأن بالنسبة لعدد من مرافقي المهدي بن تومرت بمن فيهم شخصية الخليفة عبد المومن، بل ظل مغمورا. أما باقي المؤرخين فيبدو أنهم قد خضعوا لنفس النظام التعليمي الموحدي والذي يقوم على تدريس مؤلفات المهدي بن تومرت وبالتالي فقد تشبعوا هم الآخرون بهذا الفكر وبشرعية هذه الدولة التي عاش عدد منهم أقوى مراحلها. أما ابن القطان فكما سبقت الإشارة فهو ابن بيئة خدمت الموحدين لسنين خلت وتربى في كنف أسرة خدمت الدولة الموحدية رغم الوهن الذي أصابها بعد ذلك، فبكتابه حاول أن يخلد لهذه الإمبراطورية التي استطاعت لردح من الزمن أن تخضع بلاد الغرب الإسلامي لسلطتها.

خاتمة:

قد يستطيع السياسي أن يؤثر على المؤرخ ويوجه كتاباته لخدمة أغراضه السياسية، لكن تبقى إرادة المؤرخ هي الفيصل في صياغة أخباره. فبالرغم مما يتمتع به السياسي من سلطة ومال للسيطرة على المؤرخ وتوجيه قلمه إلا أن قوة قلم هذا الأخير فيما يمكن أن يتضمنه من أحداث قد تحتمل أكثر من تأويل. وهؤلاء المؤرخون اللذين عاشوا في كنف الدولة الموحدية، رغم محاولاتهم تجميل تاريخ الدولة الموحدية وإضفاء الشرعية على أعمال قادتها في مقابل إدانة خصومهم وكل من خالفهم قدمت هذه المصادر -بالموازاة مع ذلك- مادة خصبة تتيح للمؤرخ الحديث تفكيك ثنائية الثورة والدولة وبنية العنف السياسي والعقدي التي واكبت مرحلة التأسيس، والتي جرى تأطيرها وسيطياً ضمن مفهوم 'الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي صنف في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العقيدة الصحيحة. وإذا استطاع السياسي فرض وجهة نظره فيما يرويه المؤرخ فإن هذا الأخير استفاد مما وفره له السياسي من بيئة ومادة مصدرية من مؤلفات ووثائق ساهمت في الرفع من القيمة العلمية لكتابة المؤرخ.

البيبليوغرافيا:

- ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، طبعة الرباط ١٩٧٢

- البيذق أبو بكربن علي الصنهاجي، **أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة أولى، ١٩٧٥.

--ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧

- عبد الواحد المراكشي، **المعجب**، مصدر سابق، اعتنى بنشره صلاح الدين الهواري، طبعة بيروت، ٢٠٠٦

- ابن القطان، أبو علي الحسن، **نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس

- عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت: حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، الطبعة الأولى ١٩٨٣

- محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، الجزء ١، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، الطبعة الأولى ١٩٨٣

- محمد المنوني، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، طبعة الرباط ١٩٧٧

- محمد زنيبر: - " بعض الكتب التاريخية المنشورة أخيرا عن تاريخ الموحدين" ضمن **المغرب في العصر الوسيط: الدولة -المدينة- الاقتصاد**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، الطبعة الأولى١٩٩٩ صص٩٥-١١٤.

- عبد الله كنون، "عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت"، **مجلة البحث العلمي**، العدد التاسع، السنة الثالثة، دجنبر١٩٦٦، صص١٧٥- ١٨٥

- محمد المغراوي، "عنف الموحدين بين الثورة والدولة" ضمن **الموحدون وأزمات المجتمع**، الطبعة الأولى، الرباط، ٢٠٠٦، صص ١٧-٣٢

- صباح عويناتي،" جبال غمارة خلال العصر الموحدي بين الولاء والتمرد"، ضمن **الجبال المغربية:التاريخ، التراث ورهانات التنمية**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ٢٠٢٢،صص ١٧١-١٨٣.

Jean-Pierre Van Staëvel, « La foi peut-elle soulever les montagnes ? », ***Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*** [En ligne], 135 | 2014 URL : http://remmm.revues.org/8718 ; DOI : 10.4000/remmm.8718